4/البلاغة في العصر العبّاسي (132هـ-656هـ):

_يلاحظ أنّ العلوم في بداية العصر العبّاسي أخذت في التميّز، والنّضج، والكثرة في المادّة والأعلام، وترسيخ الأسس والأصول، وبروز الفروق، والملل والطّوائف، وبذلك بدأت البلاغة العربيّة تتشكّل في مؤلّفات وأعلام واتّجاهات، وأبرز هذه المظاهر:

1-نشأة البلاغة العربيّة في أحضان القرآن الكريم وخدمته.

2-اتّجاه البلاغة العربيّة إلى دراسة ما يبدعه الأدباء والشّعراء.

3-تأثّر البلاغة العربيّة بالتّيار غير العربيّ من فارسيّ أو هنديّ أو يونانيّ.

*ونجد في هذا العصر ابن المقفّع (106-142هـ) الّذي ترجم كتب تاريخيّة مختلفة وأخرى أدبيّة وسياسيّة، كما ترجم "كليلة ودمنة"، وأجزاء من منطق أرسطو طاليس، واتّسعت التّرجمة وأسّست لها "دار الحكمة"، وانكبّ المترجمون من السّريان وغيرهم ينقلون التّراث اليونانيّ والفارسيّ والهنديّ.

*ويعدّ ابن المقفّع في طليعة من تبنّوا الأسلوب العبّاسي الجديد الّذي سمي ب: الأسلوب الموّلد، وهو أسلوب يمتاز بالصّناعة والدّقة في اختيار الألفاظ ووضعها في أمكنتها الصّحيحة وبثّ المعاني المستحدثة فيها دون عوج أو تعقيد.

*كما نجد في هذا العصر الجاحظ (159-255هـ) الّذي يعدّ من أشهر البلاغيّين الّذين توسّعوا في الموضوعات البلاغيّة، وهو أوّل من جمع ما يتّصل بالبلاغة من كلام سابقيه ومعاصريه وشرحه والإضافة عليه. والجاحظ كما هو معلوم معتزليّ، وأوّل معتزليّ خطا خطوة ملحوظة في هذا السّبيل، هو رئيس فرقة المعتزلة ببغداد بشر بن المعتمر، وعنه نقل الجاحظ، ودوّن ملاحظاته الدّقيقة في البلاغة في كتابه البيان والتّبيين.

*ونجد ابن المعتّز(247-296هـ) صاحب كتاب "البديع"، والّذي جمع فيه 17 نوعا بديعيا منها التّورية والجناس، إضافة إلى الاستعارة والكناية، ومن الواضح أنّ اسم البديع حتّى الآن يطلق على ما أسموه المتأخّرون بعلم البيان. الّذي بلغ أوجّه خلال النّصف الثّاني من القرن الثّالث ومن أبرز أعلامه أبو تمّام (190-231هـ) وهي فترة عرفت الخصومة بين أنصار القديم والجديد في الأدب (بشّار، البحتري، أبو تمّام). وكتب قدامة بن جعفر(ت337هـ) كتاب نقد الشّعر.

*كما ضمّن أبو هلال العسكريّ (ت395هـ) كتاب الصّناعتين حديثا عن البلاغة والاختلاف من المراد منها، وتحدّث عن الإيجاز والإطناب وأضاف بعض أنواع البديع إلى ما ذكره سابقوه.

*وقد مثّل مبحث الإعجاز في القرآن الكريم مجالا تبلورت فيه أسس البحث البلاغيّ، ووضع الرّماني (296-384هـ) رسالة النّكت في إعجاز القرآن، وجعل البديع جزء من درس البلاغة ومظهرا من مظاهر الإعجاز، وسايره الباقلانيّ (338-403هـ) في "إعجاز القرآن" وألّف الشّريف الرّضى (359-406هـ) نهج البلاغة؛ حيث فصّل فيه أبوابا عن البلاغة والبيان والإيجاز والبديع والمجاز والتّشبيه والطّباق والتّمثيل، لكن نضج البلاغة واكتمالها من حيث العمق كان مع عبد القاهر الجرجانيّ، ومن حيث التّبويب كان مع السّكاكي.

*وقد أقام الجرجانيّ (400-471هـ) مباحث البلاغة على الأسس النّفسية في كتابيه دلائل الإعجاز وأسرار البلاغة، وإليه يعود الفضل في تفصيل مباحث علميّ المعاني والبيان، ومن هنا يمكن القول: إنّ الجرجاني هو الّذي وضع أساس هذين العلمين، وقد مثّل الأوّل كتابه معالم الاهتمام بعلم المعاني، ومثّل كتابه الثّاني موضوع علم البيان؛ إذ درس فيه التّشبيه والكناية والاستعارة والمجاز.

*وفي القرن السّادس الهجريّ ألّف السّكاكي(555-626هـ) كتاب مفتاح العلوم، إذ امتزج فيه الدّرس البلاغيّ بمقولات المنطق والفلسفة، فاستقام في نظام بين الحدود واضح المعالم والأبواب، وانقسم إلى أنواعه الثّلاثة(البيان، المعاني، البديع)، وتحدّث في الكتاب عن علم الصّرف وعلم النّحو وعلوم البلاغة، وعلم الاستدلال (المنطق)، وعلم العروض، والقافيّة.

*أمّا ضياء الدّين بن الأثير الجزري(558-637هـ)، فقد ألّف كتاب المثل السّائر في أدب الكاتب والشّاعر، الّذي تحدّث فيه عن أصول البيان وفروعه، وقد مثّل كتاب مفتاح العلوم للسّكاكي مرجعا أساسيا في علوم البلاغة، عادت إليه كثير من التّلاخيص والشّروح اللاّحقة عليه، ومنها ما كتبه القزوينيّ (605-682هـ) الإيضاح والتّلخيص.

وبسرد هذه السّيرورة الزمنيّة لتطوّر علم البلاغة نلحظ تبلورها كعلم قائم بذاته وكذا تشكّل علومها الثّلاث(،البيان، البديع، المعاني)، شيئا فشيئا إلى أن اتّضح علمي المعاني والبيان مع الجرجانيّ واكتملت ثلاثيّة البلاغة مع السّكاكي في مؤلّفه مفتاح العلوم.